مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية ـ المجلد١٢ (العدد ١) ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠ م

الرثاء لدى شواعر العرب في العصر الأمويّ

الدكتور عبد الكريم يعقوب
الأستاذ المساعد في
كلية الآداب ـ جامعة تشرين

رامية محفوض
طالبة الدراسات العليا في
كلية الآداب ـ جامعة تشرين

يُعدّ موضوع الرثاء أبرز موضوع في شعر المرأة منذ الجاهلية حتى اليوم ،فقد شغل حيزا كبيرا من لوحة الشعر العربي . فهو شعر العاطفة المتأججة التي تنبع من الأعماق وشعر الدمعة السخينة التي تصور الحزن الكامن في النفس .

ونلمح في رثاء المرأة رقة المشاعر والأحاسيس ولوم الدهر وذمه ،وقد يتعدى الأمر في ذلك الى اطلاق الحكمة التي تدل على تفكير عميق وتأمل بعيد في أمور الحياة ،وعلى رقي فكري ،ونضج عقلي ، امتازت بهاالمرأة في ذلك العصر .

وقد أضافت شواعرنا الى لوحة الرثاء في شعرنا العربي صفحة حافلة بالمعاني الإنسانية، زاخرة بالمشاعر والعواطف الرقيقة السامية ،وأثبتن بذلك كله مقدرة فنية ومكانة اجتماعية مرموقة ودورا ملحوظا في الحياة .

احتل الرثاء رقعة واسعة من أشعار شواعر العرب في العصر الأموي ،وشغل حيزا كبيرا من لوحة شعر المرأة في هذه الحقبة والعصرين السابقين ،فهو شعر العاطفة المتأججة التي تنبع من الأعماق ،وشعرالدمعة السخينة التي تصور الحزن الكامن في النفس. والمرأة أقدر من الرجل على الإفصاح عن الألم،وعلى التعبير عن الوجع الذي يحل بالفاقد حبيبا أو قريبا .

ولعل موضوع الرثاء أبرز موضوع في شعر المرأة منذ الجاهلية حتى اليوم ،بل ان بعضهن لم يقلن شعرا الا فيه ،فعبرن من خلاله عن مصيبة أو فاجعة ،حلت بالأفراد أو الجماعة الإنسانية كلّها،

ورحن يرثين مَنْ فقدن في صور رائعة وأشعار بديعة ، اشتملت على القيم والمثل الخلقية الرفيعة التي تحلى بها المرثي في حياته ،الى جانب المشاعر الحزينة والأحاسيس الدافئة .

وقد سئلت احداهن : مابال المراثي أجود ماتقلن ؟ فأجابت : لأننا نقولها وقلوبنا تحترق .

والرثاء ليس موضوعا جديدا في شعرنا العربي ،بل هو قديم ومتأصل فيه ،منذ عرف ذلك الشعر في أقدم العصور ،ولكنه تطور بتطور الزمن ،وتغيرت مفاهيمه من عصرالى آخر . ففي الجاهلية كانوا يبكون القيم والمثل التي يعتد بها الانسان العربي

آنئذ ، أما في صدر الاسلام والعصر الأموي، فقد أضافوا الى تلك القيم في رثائهم قيما دينية ومثلا روحية ، أسبغوها مجتمعة على مرثييهم .

ويعد رثاء شواعر العرب في العصر الأموي امتدادا لرثاء شعراء ذينك العصرين، ويكفي أن نعرف من بينهن شاعرة عرفت بكثرة رثائها لمن تحب ،وهي ليلى الأخيلية التي فضلها كثير من الرواة والمؤرخين على الخنساء التي يجعلونها شاعرة الرثاء الأولى في الجاهلية وصدر الاسلام .

وهناك شواعر عرفن بشعر الرثاء الذي لم يتجاوزنه الى غيره من موضوعات الشعر، كميلكة الشيبانية ،وعاتكة بنت زيد،وربما كان مرد ذلك الى كثرة دواعي شعر الرثاء عند شواعر العصر الأموي الذي كانت أحداثه السياسية والحربية الكثيرة تودي بكثير من أعلامه البارزين .

أما المعاني التي دار حولها رثاء شواعرنا ،فهي تلك التي تدور في فلك القيم الخلقية والمثل الاجتماعية المعهودة في ذلك العصر ،ولعل مايلفت النظر في رثائهن كثرة البكاء وغزارة الدموع ،وحث العين على سفح المزيد منها ،وربما يعود ذلك الى أن البكاء وذرف الدموع أهم وسيلتين من وسائل التعبير عن الحزن والألم لدى المرأة بشكل عام .

فأروى بنت الحارث رثت علي بن أبي طالب بدموع سخية ،وراحت تستنزل الدموع التي تجد فيها إسعادا وإيناسا ،فقالت (١)

ألا ياعينُ ويحك أسعدينا
ألا وابكي أمير المؤمنينا

وجعلت شفاءها من الألم في دموعها التي تذرفها على أبيها المفقود في قولها : (٢)

عينيَّ جودا بدمع غير ممنون
انّ انهمالا بدمع العين يشفيني

ورثت عاتكة بنت زيد عمر بن الخطاب بالدموع والنحيب ،حزنا على الامام الذي وصفته بالنجابة ،فقالت : (٣)

عين جودي بعبرة ونحيب
لاتملي على الامام النجيب

ورثت مليكة الشيبانية عمها بالدموع التي أرادت لها أن تسيل حتى الممات ،فقالت(٤)

ياعين جودي بالدمو
ع بواكف حتى الممات

ورثت بنت عقيل الحسين بن علي شهيد آل البيت والمسلمين جميعا ،فقالت : (٥)

عينيَ ابكي بعبرة وعويل
واندبي ان ندبت آل الرسول

وفعلت ليلى الأخيلية مافعلته الأخريات، فأكثرت من البكاء على حبيبها توبة بن الحميّر ،ورثته بقصائد طويلة ،نذكر لها في البكاء قولها (٦) :

أيا عين بكّي توبة بن حميِّر
بسحٍّ كفيض الجدول المتفجِّرِ

وقولها :

ياعين بكّي بدمع دائم السّجم
وابكي لتوبة عند الروع والبهمِ

ونلاحظ في أشعارهن الدعوة الى المشاركة في بكاء موتاهن ،فليلى الاخيلية دعت نسوة خفاجة جميعهن الى البكاء على توبة قائلة (٨):

لتبك العذارىٰ من خفاجة كلّها
شتاء وصيفا دائباتٍ ومربعا

وكذلك فعلت مليكة الشيبانية ،عندما دعت نسوة الخوارج جميعهن الى البكاء على الشهداء بقولها : (٩)

فلتبك نسوانُ الشُّراة بعبرة
عند الحروب وكلُّ كهلٍ شاري
وليبكه المولى وطالبُ حاجةٍ
عند العشاء ،وكلُّ ضيف طاري

ونلمس من خلال قراءتنا لأشعارهن المثابرة

على البكاء طوال حياتهن، وهذا مافعلته ليلى الأخيلية التي عاهدت نفسها على بكاء مستمر استمرار دعاء الورقاء على الفنن ،فاستحضرت ذلك الطائر الذي يشارك أكثر الشعراء أحزانهم وأتراحهم، فقالت (١٠) :

فآليت لا أنفك أبكيك مادعت
على فنن ورقاء أو طار طائر

وأكدت مليكة الشيبانية استمرار بكائها باستمرار طلوع الشمس وهبوب الرياح فقالت (١١)

فلأبكينّك ماغدت
شمس وماجرت البوارحْ

وفي رثائها لعمها ، أكدت من جديد أن بكاءها مستمر استمرار وَخْد الابل فوق الديار ،في حلّها وترحالها ،فقالت (١٢) :

فلأبكينّك كلما وخدتْ
عِيسٌ بأرجلها على رَسْمِ

ونستطيع ،في رثائهن، أن نتعرف الى عادة اجتماعية كانت النساء يقمن بها ،وهي عادة خلع الخمار والخروج سافرات ،وزيارة المقابر ،وهذا مانستشفه من قول مليكة الشيبانية (١٣) :

ألقيتُ جلبابي لعظم رزيتي
وبرزت سافرة بغير خمار

زرت المقابر كي أسلّي عبرتي
هيهات ممن زرت بعد مزار

وبعد هذا نقول : ان ظاهرة البكاء في شعر شواعر العرب في العصر الأموي ليست جديدة ،فهي معروفة منذ الجاهلية ،وقد عرفنا من الشواعر الباكيات النادبات الخنساء التي ظلت طوال حياتها تبكي أخويها بكاء حارا . ومنه قولها فيرثاء صخر : (١٤)

قذى بعينك أم بالعين عوّار
أم ذرّفت إذ خلت من أهلها الدار

كأن عيني لذكراه اذا خطرت
فيض يسيل على الخدين مدرار

وبعد البكاء وذرف الدموع ،تقف شواعرنا، لتعدد الواحدة منهن صفات المرثي ومآثره بدقة وتفصيل ،فتنعي بموته الكرم والجود والشجاعة والقوة في الحروب ،والتقى والورع في الدين ،والرفعة والشرف في القوم .

فان رثت الشاعرة فقيدها رثت فيه الكرم والجود في أعظم صوره وأكملها، فنحس كأن الكرم مات بموت هذا الرجل، لأنه هو من كان يعين الناس ،ويطعم المساكين، ويعطي الفقراء ،وهذا مانجده في رثاء الرباب لزوجها الحسين الذي تقول فيه (١٥)

من لليتامى ومن للسائلين ومن
يغني ويأوي اليه كل مسكين

ونجد مثل هذا أيضا في رثاء زينب بنت الطثرية لأخيها ، اذ صورت اكرامه للضيف، فأطلقت عليه صفة العذوّر ،وهو السيّء الخلق، القليل الصبر عما يريد وما يهم به ،وانما جعلته كذلك لشدة تهممه بأمر الأضياف وحرصه على تعجيل قراهم حتى تستقل المراجل على الأثافي ،ولا نستطيع أن ننكر جمال هذا التعبير عن الكرم ،وهو أيضا يهدي خير عظم في الناقة جاره ،ونساره أبدا متوقدة مستعدة لاستقبال الضيوف، وعبرت زينب عن كل ذلك بقولها (١٦):

اذا نزل الضيفان كان عذوّرا
على الحيّ حتى تستقّل مراجله
اذا ماطها للقوم كان كأنه
حميٌّ وكانت شيمة لاتزايله
ترى جازريه يرعدان ونساره
عليها عداميل الهشيم وصامله
يجران شِنْيا خيرها عظم جاره
بصيراً بها لم تَعْدُ عنها مشاغله

ولما رثت عاتكة بنت زيد عمر بن الخطاب

صورت ،بكلمات قليلة ،كرمه وجوده ،واعانته للمحتاجين ،فكان صخرة في وجه الدهر، يقي الناس من شروره وقسوته ،قالت :(١٧)

عصمة الله والمعين على الدهـ
ـر غياث المنتاب والمحـروب
قل لأهل الضراء والبؤس موتـوا
قد سقته المنون كأس شعـوب

أما مليكة الشيبانية فقد رثت عمها بأبهى صور الجود والكرم ، فهو ملاذ الفقيـر واليتيم والقريب والصديق فقالت (١٨) :

أم من يُرجّى للقـرـ
ـب ومن يكون لكل نـازحْ
أم من يُؤمّل للبتيـ
ـم وكل ذي غرب وناشـحْ
أم من يعمّ صديقـه
خيرا ويحجرُ كلّ نابـحْ

واشتهرت ليلى الأخيلية من بين شواعـر عصرها برثائها لتوبة محبوبها ،فذكرت جوده وكرمه في شعرها ،بقولها (١٩) :

فعقاؤه لهفىٰ يطوفون حوله
كما انقضّ عرش البئر والوِردُ عاصبُ

وذكرت في موضع آخر من رثائها لـه سخاءه وترحيبه بالضيف ، فجعلته ضو الندى ومقصد الناشهين ،وملاذ الباحثين عن مأوى أو قرى ،فقالت (٢٠):

فيا توبَ للهيجا ويا توبَ للندى
ويا توب للمستنبح المتنـوّر

وراحت أيضا ،تذكر فيه جملة من الخـلال والمآثر الحميدة ،وقد خصت الجود منهـا والندى بالاشادة ، فتوبة يرى البخل عارا على الفتى ،والندى يقطر من كفيه وأنامله، وهو قاتل الجوع الذي يهدد الضيف والجـار فقالت (٢١) :

أغرّ خفاجياً يرى البخل سبّـة
تحلّبُ كفـاه الندى وأنامله

وقد علم الجوع الذي بات ساريا
على الضيف والجيران أنك قاتله

وأنك رحب الباع ياتوبَ بالقرى
اذا مالئيم القوم ضاقت منازله

ووقفت الشواعر في رثائهن عند عنصر القوة في المرثي وصفة الشجاعة فيه ،فمعظـم الشواعر رثين في موتاهن الشجاعة والبسالة والحمية على تصوير الحنكة في الحروب والمهارة في القتال ،وكانت معاني الرثاء هـذه بارزة وجليّة في رثاء الثائرين علـى سلطة بني أمية من خوارج وشيعة وغيرهم.

ونذكر من هؤلاء الشواعر اللواتي سلكن هذا السبيل في الرثاء أروى بنت الحارث التي رثت علي بن أبي طالب بقولها (٢٢)

رزينا خير من ركب المطايا
وخيّبها ومن ركب السفينـا

ورثت زينب بنت الطثرية الشجاعة في أخيها فقالت (٢٣)

فتى قُدّ قَدّ السيف لامتضائـل
ولا رهل لبّاتُه وبآدلُـه
فتركان يروي المشرفيّ بكفـه
ويسلع أقصى حجرة الحيّ نائله

وأشادت عاتكة بنت زيد بصمود عبد اللـه ابن أبي بكر في ساحة الوغى ،ونفت عنـه الخوف والجبن ،فقالت : (٢٤)

اذا شرعت فيه الأسنّـة خاضهـا
الى الموت حتى يترك الموت أحمرا

ورددت ليلى الأخيلية صفة الشجاعة فـي توبة من خلال صور متعددة،فقالت (٢٥):

شجاعٌ لدىٰ الهيجاء ثَبْتٌ مشايـخٌ
اذا انحاز عن أقرانه كلُّ سابح

ولعلنا نذكر اعتداد الانسان العربي ،على

مر العصور ،بمكانته ورفعته وشرفه في قومه ،وجعله هذه الأمور من أسمى مقومات وجوده في مجتمعه ،وهذا ماوعته شواعرنا، فرحن يذكرن كل مايتصل بهذه المظاهر في مراثيهن ،ويجمعنها الى غيرها من المناقب والمكارم ،كي يرسمن صورة متكاملة للمرثي في أشعارهن .

فهذه أروى بنت الحارث ترثي أباها، فتشير الى مكانته الرفيعة في قومه الذين يحتلون منزلة سامية في المجتمع ،تقول(٢٦)

من آل عبد مناف إنّ مهلكه
ولو لقيتُ رغوب الدّهر يعصيني

من الذين متى ماتغشَ ناديهم
تَلْقَ الخضارمة الشم العرانين

وهذه مليكة الشيبانية تركز في رثائها على هذه الصفة ،فتذكر شرف عمها في قومه وزعامته وسيادته ،تقول : (٢٧)

ياعمُّ كنت لسان قو
مك حين تجتمع المعاشرْ

وهكذا نجد أنّ معاني الرثاء في أشعار شواعر هذا العصر شبيهة بتلك التي نقرؤها في أشعار الجاهلية وصدر الاسلام ، أو قريبة منها ،بل قل : انها تدور في فلك عام ،ولا سيما في معرض الاشادة بالقيم الاجتماعية والخلقية ،فالمعاني متآخية، لأنها مستمدة من منهل واحد ،وهي مستمرة، يرثها جيل من جيل ،لأن القيم الانسانية النبيلة متأصلة ،تنتقل من عصر الى عصر بروحها وجوهرها .

على أن هذا كله لايعني أننا نعدم اختلافا بسيطا هنا ،أو اضافة ماهناك، بحكم التطور الاجتماعي من جهة ،وبفعل تأصل القيم الدينية في النفوس ،وتأثيرها من جهة ثانية .

لقد كان للدين وقيمه تأثير ملحوظ في شتى موضوعات الشعر ،ولاسيما الرثاء، اذ أضيفت الى معانيه معان روحية نابعة من الدين الاسلامي ،من مثل الايمان باليوم الآخر ،حيث يكون الحساب ويتم العقاب والثواب ،ومن مثل التقى والورع،وأداء الفروض الدينية وغيرها .

ومثل هذا نجده عند سودة بنت عمارة في رثائها لعلي بن أبي طالب ،حيث قالت (٢٨) :

صلى الاله على روحٍ تضمنه
قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحقَّ لايبغي به بدلا
فصار بالحق والايمان مقرونا

ونلقى بعض ذلك في رثاء مليكة الشيبانية، لعمها الذي جعلته من الأخيار عند الله، فقالت (٢٩) :

أين الذين اذا ذكرنا دينهم
قالت عشائرهم : همْ الأخيار

وهذه الرباب بنت امرىء القيس ،تجعل زوجها الحسين بن علي ،في رثائها له، قبسا إلهيا ورمزا للهداية ،فتقول (٣٠):

انّ الذي كان نورا يُستضاء به
بكر بلاء قتيلٌ غير مدفون

وذكرت أم سنان علي بن أبي طالب بصفات روحية ،فهو المهدي الذي يستمد أحكامه من الله ،وبها يهدي الناس الى طريق الحق، تقول : (٣١)

إمّا هلكتَ أبا الحسين فلم تزل
بالحق تُعرف هاديا مهديّا

ومن تأثيرات الاسلام في رثاء شواعرنا الدعاء للمرثي بالجنة والنعيم ،وهذا نابع من ايمانهن ودينهن الاسلامي ،فبعد أن كان الدعاء للميت بالسقيا وهطول المزن على قبره، صار الدعاء له بنيل النعيم في الحياة الآخرة، وهذا ماعبرت عنه الرباب في رثائها

لعلي بن أبي طالب،فقالت : (٣٢)

سِبْطَ النبيّ جزاك الله صالحة
عنا ،وجُنبتَ خُسران الموازين

ومثل هذا فعلت زوج بريد،حيث دعت لزوجها بالجنة والنعيم ،فقالت (٣٣) :

أسكنك الله في جنان
تكون أمنا لساكنيه

ولكن هذا لايعني أن شواعرنا قد تخلصن من بعض تقاليد الجاهلية وأعرافها المتمثلة بالدعاء للميت بالسقيا ،فهذه ليلى الأخيلية تدعو لقبر توبه بالسقياقائلة (٣٤)

ولا يبعدنْك اللهُ ياتوبَ ،والتقت
عليك الغوادي والمدجناتُ الهواطل

ولعلّ تأثر المرأة بالدين وتعاليمه خفف عنها حدّة الحزن والألم،فكان الايمان بالآخرة عزاء لها ،يبعث في نفسها الصبر على من فقدت .

ونحس من خلال الرثاء وفاء المرأة الشاعرة لعقيدتها ،واخلاصها لها ،كما نلحظ ثباتها على مبدأ الحزب الذي تنتمي اليه والدفاع عنه ،والتهجم على خصومه ، ولاسيما على حكام بني أمية .

فمليكة الشيبانية كانت خارجية ،وفي رثائها لعمها مدحت أفراد حزبه قائلة (٣٥)

إخوانُه النَّفرُ الشُّرا
ةُ ذوو الفضائل والبصائرْ

وفي شعر امرأة من بني شيبان نتعرف إلى نفر من الخوارج،باعوا الاله نفوسهم في سبيل دعوتهم وعقيدتهم ،فسموا بالشراة، فقالت ترثيهم (٣٦) :

فتية باعوا نفوسهم
لاوربّ البيت ماغُبِنوا
ابتغوا مرضاةَ ربّهم
حين مات الدين والسَّنَنُ

ولم تتورع شواعرنا عن التهجم على الحكام المناوئين لمن يناصرنهم ،وهذا مافعلته أروى،اذ انها تهجمت على معاوية ،ولامته على قتل علي بن أبي طالب ،وقالت: (٣٧)

ألا أبلغ معاوية بن حرب
فلا قرّت عيون الشامينا

أفي شهر الصيام فجعتمونا
بخير الناس طرّا أجمعينا

ورثت زوج الوليد أخاها عمرو بن سعيد الذي قتله عبد الملك ،فتهجمت على بني أمية ،وبينت غدرهم وخيانتهم،فقالت(٣٨)

غدر تم بعمرو يا بني خيط باطلٍ
وكلكمُ يبني البيوت على الغدر

كأن بني مروان اذ يقتلونه
خشاشٌ من الطير اجتمعن على صقر

ونلمس في هذا الرثاء قوة المرأة وشجاعتها وعدم خوفها من السلطة والحكم ،طالما هي على حق .

ونلمح من خلال المراثي رقة مشاعر المراة وصدقها في حزنها ،والمها على من فقدت ،فتلوم الدهر على مافعل بها ،وعلى ما أنزله بها من مصيبة ،فالصراع بين الانسان والدهر أزلي جوهري ،فمنذ وجوده شعر بجبروته وتسلطه ،فاستسلم له طائعا مجبرا ،وهذا ماحلّ بشواعرنا اللواتي وقفن عاجزات أمامه ،مستسلمات له ،وهذا مانجده عند زوج بريد التي رثت زوجها، فلامت دهرها ، اشتكته لأنه أفقدها إلفها، فقالت : (٣٩)

يادهر ماذا أردتَ مني
أخلفتَ ماكنتُ أرتجيه

دهر رماني بفقد إلفي
أذم دهري وأشتكيه

ونرى زوج الوليد تذم الدنيا ،لغدرها

بأهلهـــا وأصحابهـا ،فتقـول (٤٠)

لحـا الله دنيـا تُعقبُ الذلَّ أهلَـها
وتهتك مابين القرابة من ستـر

وبعد لوم الدهر ،يطل اليأس واضحا وجليـا في أشعار الرثاء ،فنرى شواعرنا يائسات، لايطقن الحياة والعيش بعد مَنْ فقدن،وهـذا مانلمسه عند بثينة التي وصل اليها نعـي حبيبها جميل ،فأظلمت الدنيا في عينيهـا، وتساوت عندها الأمور ،كبيرها وصغيرهـا، لذيذها وبغيضها ،تقول : (٤١)

سواء علينا ياجميل بن معمـر
اذا متَّ بأساءُ الحياةولينُهـا

وتنتشر الأقوال المأثورة والحكم في ثنايا الرثاء لدى شواعرنا ،وهي تعبر عن تجربة ذاتية ، أو جماعية ،وعن تفكير في أمور الحياة ،وتأمل في شؤون الكون ،وهذه الأقوال والحكم تعبر عن رقي فكري ونضج عقلي تميزت بهما هؤلاء الشواعر ،فهـذه قلياة الشيبانية قد أيقنت حقيقة المـوت واتيانه على كل انسان مهما فعل ،ومهما حاول الهروب منه ،فقالت : (٤٢)

واذا المنية أقبلـت
لم تُغْنِ أقوالُ الرقـاةِ

وهذا يذكرنا بقول أبي ذؤيب الهذلي ،مع الفارق الكبير بين البيتين في الصياغـة والمعالجة الفنية للمعنى ،فمليكة قالـت " أقبلت " أما أبو ذؤيب فقد صوّر المنية بصورة وحش كاسر ،ينشب أظفاره فـي فريسته ،فلا تتمكن من الافلات ،فقال:(٤٣)

واذا المنية أنشبت أظفارهـا
ألفيت كل تميمة لاتنفـع

وهذه هند بنت يزيد تفصح في بعض رثائها عن حقيقة أزلية أبدية ،مفادها أن الناس جميعا الى زوال ،فتقول : (٤٤)

فان تهلك فكل زعيم قـومٍ
من الدنيـا الى هلكٍ يصيـرُ

ونحظى عند ليلى الأخيلية ،بغير قليـل من الأقوال المأثورة ،والحكم التي دلت على بصيرة نافذة وعقل راجح ،وتأمل عميـق وخبرة في الحياة ، استخلصتها من تجاربها وتجارب الآخرين ،فها هي تلخص لنا في بعض رثائها قضية الوجود والعدم ،فتذكر أن الموت حق على الانسان ،ليس عارا عليه ،اذا لم تصبه المعاير في حياته ،ولا خلود للانسان في الدنيا ،فالكل الى الموت والمقابر،والحزن والألم لايعيدان الميت ،فما على الحيّ الا الصبر ،وكل شباب الى بلى ،وكل إلفين الى تفرق وتشتت ،مهما تعاشرا ،لأن الممـوت سيفرقهما يوما ،قالت (٤٥)

لعمرك ما بالموت عار على الفتـى
اذا لم تصبه في الحياة المعايرُ

وما أحدٌ حيٌّ وان عاش سالمـا
بأخلد ممن غيبته المقابـر

وما الحيّ مما يُحدثُ الدهرُ معتبٌ
ولا الميت ان لم يصبر الحيُّ ناشرُ

وكل شباب أو جديد الى بلًـى
وكل امرىء يوما الى الله صائر

وكل قريني إلفةٍ لتفـرّق
شتاتا وان ضَنَّا وطال التعاشر

ولعل التجارب العميقة التي عاشتها ليلى، هي التي أمدّتها بهذه الحكم والآراء السديدة.

ونحظى في أبيات الرثاء بصور تعبر عن القلق والهم والسهاد ،فشواعرنا يقضين الليالي ساهرات أرقات ،يعشن هموم الليالي، ويعانين من طولها الكئيب في أشعارهـن، وليس هذا شيئا جديدا في شعرنا العربي، فالسابقون لشواعرنا والتالون لهن ،ملّوا هموم الليل ،وشكوا الحزن والكآبة فيه .

فها نحن نلقى الشاعرة أم سنان قلقة مسهدة ،وقد طال ليلها بعد فقد الامام علي ،فتقول (٤٦) :

عَزُبَ الرقادُ فمقلتي ماترقُدُ
والليل يصدر بالهموم ويوردُ

وهذه عاتكة بنت زيد ،تعبر عن أرقها وتصور سهادها في ليلها الذي طال بهمومه وأحزانه ،فتقول (٤٧) :

منعَ الرقادَ فباد عينيَ عيدُ
مما تضمن قلبيَ المعمودُ

يالَيلةً حُبستْ عليَّ نجومُها
فسهرتُها والشامتون هجودُ

وتعاني مليكة الشيبانية هموم الليل، وتعيش أحزانه الممضة ،ويلتقي في ذلك ليلها نهارها ،فحياتها بعد فقد الأحبة همّ وحزن دائمان ،تقول (٤٨) :

أم مالنفسكِ ليس يسكن حزنُها
ليلا ،وليس نهارها بنهار

وتتغلغل مشاعر الحزن والألم في ثنايا أشعار الرثاء،ومن هذه المشاعر مانتحسسه في بعض شعر زينب بنت الطثرية التي صورت نفسها مكبلة بالحزن ،مقيدة بسلاسل الهم والحزن ،فراحت تشكو ،وتستعطف ،وتبدي مزيدا من اللوعة والأسى ،تقول (٤٩) :

ولو كنتُ في غلٍّ وبحتُ بلوعتي
اليه للانتْ لي ورقّت سلاسلُهْ

ولما عصاني القلب أظهرت عولة
وقلت ألا قلب بقلبي أبادلُهْ

ويورث الفَقْدُ مليكة حزنا وكمدا،يؤرقانها ولهفة ولوعة في النفس يؤلمانها ،وتخلف مرارة في العيش دائمة ،وزفرات حرّى حارقة شبيهة بنار الجمر ،تقول (٥٠) :

أورثتَني كَمَدًا يؤرقني
وتلهّفًا وحرارة الصدر

ومرارةً في العيش دائمة
وحرارة كحرارة الجمر

وبعد هذا العرض لمعاني الرثاء عند شواعرنا نقول : انّ رثاءهن كان نابعا من عاطفة صادقة ،ومعبرا عن مشاعر وأحاسيس رقيقة؛ وكانت معانيه تدور في فلك القيم الاجتماعية للعصر ،فكان رثاؤهن رثاء للقيم والمبادىء والخصال الحميدة عند الانسان العربي .

L'elegie est consideree comme le suget le plus remarquable dans la poesie de la femnre depuis pre- islamique jusqu'a nos jours . elle a occupee une grande place dans la poesie arabe . elle est la poesie du sentiment chaleureux qui jaillit du fond de l'homme. la poesie de la chaude larme qui depeint le deuil latent de l'ame . Nous voyons dans l'elegie de la femme la tendresse des sentiment , le plame et la critique de la fortune. Nous pouvons y voir , en plus , la sagesse qui montre une pensee profond et une reflexions claivoyante dans les problemes de la vie , Une evolution spirituelle est une naturation intellectuelle cela a distingue la femme dans cette epoque - la .

Nos poetesses ont ajoute dans l'elegie de notre poesie arabe une page pleine de sens humains , abondante en setiment tendres et sublimes . Ainsi, elles ont montre une capacite artistique, un rang social distingue et un role remarquable dans la vie , .

١ ـ العقد الفريد ١٢٠/١،وأخبار الوافدات ٤٨ .

٢ ـ بلاغات النساء ،٣٠٠ وشاعرات العرب لعبد البديع صقر ٤ .

٣ ـ الأغاني ٦١/١٨ ،والحماسة ٧٠/٣ ، والحماسة البصرية ٩٨ .

٤ ـ ديوان الخوارج ٢٠٠ وأشعار النساء١٦٩

٥ ـ تاريخ الطبري ٣٩٠/٥ ،والعقد الفريد ٣٨٣/٤ .

٦ ـ ديوان ليلى الأخيلية ٧١ .

٧ ـ ديوان ليلى الأخيلية ١١٥ .

٨ ـ ديوان ليلى الأخيلية ٨٦ .

٩ ـ ديوان الخوارج ٢٠٢ وأشعار النساء١٩٩

١٠ ـ ديوان ليلى الأخيلية ٦٦ .

١١ ـ ديوان الخوارج ٢٠٢ وأشعار النساء٢٠٠

١٢ ـ ديوان الخوارج ٢٠٢ وأشعارالنساء٢٠٠

١٣ ـ ديوان الخوارج ٢٠٢ وأشعارالنساء١٩٩

١٤ ـ ديوان الخنساء

١٥ ـ تاريخ الطبري ٣٥١/٥،والأغاني١٤٢/١٦ وأعلام النساء ٣٧٦/١ .

١٦ ـ الأمالي ٨٧/٢وحماسة البحتري ٤٣٣، والحماسة البصرية ١١٤ .

١٧ ـ الأغاني ٦١/١٨ ،والحماسة ٧٠/٣ ، والحماسة البصرية ٩٨ . والدر المنثور ٣٢١ ،وشرح ديوان الحماسة ١٦٣ .

١٨ ـ ديوان الخوارج ٢٠٢ وأشعارالنساء٢٠٠

١٩ ـ ديوان ليلى الأخيلية ٥٢ .

٢٠ ـ ديوان ليلى الأخيلية ٧٤ .

٢١ ـ ديوان ليلى الأخيلية ٩٧ .

٢٢ ـ العقد الفريد ١٢٠/١ ،وأخبارالوافدات ٤٨ .

٢٣ ـ الأمالي ٨٧/٢ وحماسة البحتري ٤٣٣، والحماسة البصرية ١١٤ ،والأغاني ١٨٢/٨ .

٢٤ ـ ديوان الحماسة ١٢٧ وروضة المجين ص ٣٠١ ،والمستطرف في كل فن مستظرف ٢٢٠/٢.

٢٥ ـ ديوان الأخيلية ٦٢ .

٢٦ ـ بلاغات النساء ٣٠٠،وشاعرات العرب لعبد البديع صقر ٤ .

٢٧ ـ ديوان الخوارج ٢٠١ وأشعارالنساء١٩٨

٢٨ ـ بلاغات النساء ٤٥ وأخبارالوافدات٦٧ وتاريخ مدينة دمشق ١٧٩ .

٢٩ ـ ديوان الخوارج ٢٠٢ وأشعارالنساء١٩٩

٣٠ ـ تاريخ الطبري ٣٥١/٥ والأغاني ١٤٢/٦

٣١ ـ أخبار الوافدات ٢٣ وبلاغات النساء ٩٣ ،والعقد الفريد ٢٩٦/١ وتاريخ مدينة دمشق ٥٣١ .

٣٢ ـ تاريخ الطبري ٣٥١/٥ والأغاني ١٤٢/١٦

٣٣ ـ شاعرات العرب لبشير يموت ١٨١وشاعرات العرب لعبد البديع صقر ٤٠٨ .

٣٤ ـ ديوان ليلى الأخيلية ٩٤ .

٣٥ ـ ديوان الخوارج ٢٠١ وأشعار النساء١٩٨

٣٦ ـ العقد الفريد ٢٦٠/٣ وأشعارالنساء١٩٥ والمرأة العربية في جاهليتها واسلامها ١٨٦/٢ وديوان الخوارج ٣٣٧ .

٣٧ ـ العقد الفريد ١٢٠/١ وأخبارالوافدات٤٨

٣٨ ـ شاعرات العرب لبشير يموت ١٩٥وشاعرات العرب لعبد البديع صقر ٤٨٢ .

٣٩ ـ شاعرات العرب لبشير يموت ١٨١،وشاعرات العرب لعبد البديع صقر ٤٠٨ .

٤٠ ـ شاعرات العرب لبشير يموت ١٩٥، وشاعرات العرب لصقر ٤٨٢ .

٤١ ـ الشعر والشعراء ٤٤٢/١ وبلاغات النساء ٣١٤ ،والأغاني ١٥٤/٨ ومصارع العشاق ٥٩/٢ .

٤٢ ـ ديوان الخوارج ٢٠٠ وأشعار النساء١٦٩

٤٣ ـ ديوان الهذليين ٣ .

٤٤ ـ الكامل للمبرد ٤٨٧/٣ وتاريخ الطبري ٩٠/٢ والدر المنثور ٣٥٦ .

٤٥ ـ ديوان ليلى الأخيلية ٦٥ .

٤٦ ـ أخبار الوافدات ٢٣ وبلاغات النساء ٩٢ والعقد الفريد ٢٩٦/١ وتاريخ مدينة دمشق ٥٣٠ .

٤٧ ـ الأغاني ٦١/٨ وأعلام النساء ٩٩٦/٣،

وشرح ديوان الخنساء ١٦٣ .

٤٨ ـ ديوان الخوارج ٢٠٢ وأشعار النساء ١٩٩

٤٩ ـ الأمالي ٨٧/٢ .

٥٠ ـ ديوان الخوارج ٢٠٢ وأشعار النساء ١٩٦.

المراجـــــع

- أخبار الوافدات من النساء على معاوية ابن أبي سفيان : العباس بن بكـــــار- تحقيق سكينة الشهابي ،طبعة ١ ،١٤٠٣هـ ١٩٨٣ م ،مؤسسة الرسالة .

- أشعار النساء : المرزباني - تحقيـــق د. سامي العاني وهلال ناجي - طبع دار الرسالة للطباعة بغداد - ١٩٧٦ .

- أعلام النساء في عالمي العرب والاسـلام : عمر رضا كحالة - المطبعة الهاشميـــة دمشق ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م .

- أعلام النساء في الكوفة الغرّاء: محمـــد سعيد الطريحي - طبع دمشق ١٤٠١هـ١٩٨١م

- الأغاني : أبو الفرج الأصبهاني - مطبعة دار الكتب المصرية .

- الأمالي : أبو علي القالي - طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٧٥هـ - ١٩٧٦م

- أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنســاء : ط الآباء اليسوعيين - بيروت ١٨٨٨ م.

- بلاغات النساء : ابن طيفور- دار الحداثة للنشر ط١ ١٩٨٧م - بيروت .

- تاريخ الطبري : لأبي جعفر محمد بـــن جرير الطبري - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط٢ دار المعارف بمصر.

- شاعرات العرب : عبد البديع صقـــر- منشورات المكتب الاسلامي ١٩٧ م .

- شاعرات العرب في الجاهلية والاســـلام- بشير يموت - المطبعة الوطنية-بيروت ، ط ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م.

- شرح حماسة أبي تمام : المرزوقي -أحمد أمين وعبد السلام هارون-ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.

- تاريخ مدينة دمشق : ابن عساكر- تحقيق سكينة الشهابي - دمشق ١٩٨٢م ط١ .

- الحماسة : أبو عبادة الوليد بن عبيـــد البحتري - عناية الأب لويس شيخو - طبع ونشر دار الكتاب العربي بيروت - ط٢ ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

- الحماسة البصرية:أبو الحسن البصري - المعارف الاسلامية - ط١ ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .

- الدر المنثور في طبقات ربات الخـــدور- زينب فواد - المطبعة الأميرية - بولاق ١٣١٢ هـ .

- ديوان جميل : جمع وتحقيق د. حسيـــن نصار - طبع مصر .

- ديوان الخوارج : جمع وتحقيق د.نايف معروف - دار المسيرة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

- ديوان ليلى الأخيلية : جمع وتحقيـــق وشرح خليل إبراهيم العطية وجليل العطية- ط دار الجمهورية - بغداد ١٩٦٧ م.

- ديـــوان الهذليين : طبـــع دار الكتب المصريـــة - نشر الدار القوميـــة للطباعـــة والنشـــر بالقاهـــرة ١٣٨٥هـ ١٩٦٥ م.

- شرح ديوان الخنساء بالاضافة الى مراثي ستين شاعرة : دار التراث بيروت ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.

- الشعر والشعراء : ابن قتيبة - تحقيـــق وشرح أحمد محمد شاكر - طبع دار المعارف ١٣٨٦ - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٦ - ١٩٦٧ م.

- العقد الفريد : ابن عبد ربه - تحقيق أحمد أمين والزين والأبياري ط ٣ ،١٣٨٤هـ ١٩٦٥ م .

- الكامل في اللغة والأدب : المبرّد- عناية محمد أبي الفضل إبراهيم والسيد شحاتة- طبع مكتبة النهضة بمصر ١٩٥٦ م.
- المرأة العربية في جاهليتها واسلامها : عبد الله عفيفي - مطبعة المعارف ط٢ ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م.
- المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة : محمد جميل بيهم - دار النشر للجامعيين ط١ شباط ١٩٦٢ م.
- المستطرف في كل فن مستظرف : الأبشيهي طبع ونشر : عبد الحميد أحمد حنفي .
- مصارع العشاق :لأبي محمد السراج-ط مصر ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧م .